فلجأنا إلى سورية، وكما قلنا كان يمكن في ذلك الحين أن يجد اللبناني مجالا واسعا في غير لبنان، ولا سيما كان لي رفاق من أبناء الولاية. كنا نحن وهم زملاء في العمل، ولعله كانت لهم بي ثقة حملتهم على ترشيحي لبعض المناصب التي رشحت لها بمسعاهم. أما فيما بعد كان استنادي على رأس مالي الشخصي، وما عدت محتاج إلى من يرشحني أو يزكيني. الحوادث التي تسأل عنها كانت بدأت في سورية حوادث، في لبنان حوادث مزعجة، كان كانت هناك أيدي تلعب بها، وقد يكون بعض الأجانب لهم أيضا ضلع فيها. كانت مسائل تدخل أحيانا في باب الشقاوات، اعتداء، قطع طريق، قتل أشخاص، كذا وهذه نتجت رد فعل لأنه يوم دخلت فرنسا إخواننا الموارنة أظهروا تعصب كان لا يجب أن يبدوه، فصار في محاولة بالنتيجة ... حق ولكن دعا إليها الجهل والتعصب، إلى جانب الجهل التعصب نعم. فتألفت لجنة من كبار موظفي الموارنة اقترحوا أن يلبس أشقياء الموارنة بدلات عسكرية ويوقعوا الاعتداء بإسم الجيش ... قال إنه خلت المسائل تشتد، والنزعة الطائفية كما هي اليوم وإن تكن تهذبت بعض الشيء، كانت من قبل نزعة غير مهذبة فوقعت حوادث متعددة. أما حركة سنة ١٩٢٥ في الجبل، فكانت بنت الظلم، لأنه الفرنساويين أوقعوا في الجبل ظلم لا يحتمل، أشرت الآن إلى شيء منه؛ الضرائب مشتدة إذا جاء محرر جريدة إلى الجبل يؤمر الناس بملاقاته بأسلوب فيه شيء من الإهواء، نحن الدروز مثلا كارديه كان يعمل حاله درزي، نحن الدروز مشهورين بالضيافة، يجب أن نقابل الضيف مقابلة حسنة، لذلك وضعت عليكم ضريبة خمسة عشر ليرة ذهب أو تلاتين ليرة ذهب أو شيء من هذا. الرأي مستمر، تشغيل إعانات حتى مل الجماعة جاءوني يوم إلى دمشق، قالوا سنثور، أنا لا أرى الثورة، لأني أعتقد أحيانا كثير تنتهي بالخسران، فالشعب يصعب عليه مقاومة الحكومة، فنصحت لهم بأسلوب، يذهب فريق منكم إلى مقابلة المفوض، ويقولون له: نحن اهتممنا أن نكون على صلة طيبة بيننا وبينكم فأبيتم، فأقل ما في ائذنوا لنا أوروبا ما فينا نسافر منجهل لغتها، ائذنوا لنا أن نسافر من هنا إلى مصر نعيش بعيدين عن الحوادث وعن المسئولية، فهذه ما كان ... واعتقدت أن الثورة فعلا لن تقوم، ولكنها قامت نتيجة الظلم، نتيجة الضغط، والاستبداد. قطعوا عنهم كل صلة صار مستحيل على الدرزي أن يذهب إلى الجبل وغير الدرزي، يعني جعلوهم في حصار، ومنعوا عنهم حتى العلم، يعني عشرين خمسة وعشرين سنة ما كنا سنة التماني وعشرين اجتهدت أن أجد درزي لأني أنا عندي مبدأ أن لا أترك لجماعة من طبقة من الطبقات أو طائفة من الطوائف أن تشكو شكوى محقة، لذلك من قبل كان يقع أن المدن تحتكر المناصب والوظائف، لا كما في لبنان في لبنان شيء آخر، إلى اليوم رؤساء الجمهورية كلهم من الأرياف ما وقع بعد أن يكون ابن بيروت رئيس جمهورية. يعني إده وإن يكن أخيرا ابن بيروت ولكن الأصل ابن الجبل وعين تعيين، أما في الوقت الحاضر وما قبل كان يكون رئيس الجمهورية ابن الأرياف، ابن الجبل. في سورية كانت العائلات القديمة هي تحتكر المناصب العليا والدنيا، لذلك كنت أحرص كل الحرص على أن لا يحرم ابن النبك، ابن ... ابن كذا، من منصب يسعى له، لا يكون طبقته أو قريته حائلا دون وصوله إلى ما يسعى إليه. على هذا الأساس أردت لجماعتي من الدروز أن يكون لهم النصيب الذي يمكن أن ينالوه، مع الأسف لم أجد من يصلح أن يكون كاتبا، أمية مطلقة. فهذه المظالم وهذا الاستبداد حمل أهل الجبل إلى الثورة. وكان عذرهم مقبول لأنهم وصلوا إلى حالة لا تطاق. اجتمع، كان من الأشخاص رجل اسمه متعب الأطرش، كان رجلا ذكيا حاضر الذهن، حاضر الجواب، اجتمع إلى المفوض، فشكا له ما يلاقونه من مساوئ ومن ظلم، وكان التعبير يكون لطيف، قد لا يكون استعملوا وجود ظلم حتى لأنه كان لا يحمل منهم مثل هذا اللفظ، فقال لهم المفوض: أنتم تستطيعون أن تقاوموا فرنسا التي غلبت خمسين دولة، هذا الموال هذا لازم كان ... فقال له: لا، ولكن إذا يئس الإنسان ينتحر فاتركونا ننتحر، ما منقاومكم، ما منقتدر.